تحسن فيما يهول النفس الاقدام عليه مما لم يمنعها الشرع منه وذلك ان النفس يهولها الجوع والسهر
ومخالفة المعتاد في كسب الارزاق من بعض الجهات ولا سيما اذا تعذر عليها اكل الحلال الا من اسباب
تنزل قدرها بين العباد فقد تكون محتاجة لما لا بد لها منه فيتيسر لها ذلك من وجه لا ترضاه الشريعة
فيهول على النفس رد ذلك فيحمل نفسه عليه ويصبر حتى يمده الله تعالى بعونه وييسر له ما هو خير
احسن منه من فضله وطوله فتخرج من مجموع ما قررناه انه لا يرتكب كل مهول وانما يرتكب ما يجوز له
الشرع ارتكابه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت
محمد بن الفضل يقول الراحة هو الخلاص من اماني النفس قال الشارح رضي الله عنه ومراده
باماني النفس شهواتها واختيارها وفيه اشارة الى ان كمال الراحة في الدين بلوغ العبد الى مقام التوكل
والرضى فاذا وصل الى ذلك استراح من اختيارات نفسه وتمنى ما لم يقدر لها ورضيت بكل واقع وانق
هداها او لم يوافق ولا يتم للعبد ذلك الا بتيقنه ان الحق سبحانه ارحم به واعلم بما يصلحه ودليله
قوله صلى الله عليه وسلم عجبا للمؤمن والله لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له والمؤمن هاهنا
عبارة عمن علم الله تعالى انه يختم له بالايمان والا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون قال
الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا علي
الروذباري يقول دخلت الآفة من ثلاث سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة
فسألته ما سقم الطبيعة وملازمة العادة فقال اكل الحرام فقلت ما ملازمة العادة
فقال النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة قلت فما فساد الصحبة قال كلما هاج في النفس شهوة
يتبعها قال الشارح رضي الله عنه فقوله سقم الطبيعة اكل الحرام يعني انه اذا كان نشأ جسمه
من هذا المأكول واقدم عليه مع معرفته بتحريمه فسد قلبه وجوارحه ولما كان الغذاء
مما يلازمه ولا بد له منه وكان حراما عبر عنه بسقم الطبيعة واما ملازمة العادة فدليل
على قلة التثبت في ساير حركاته وساير اعضائه من عينيه ولسانه واذنه وبطنه وفرجه
واذا لم يتثبت حتى يعرف ما يجوز له مما يجوز جرى عليه مقتضى عادته لصيرته كان من
الهالكين وقوله فساد الصحبة اي صحبته مع نفسه فان الصحبة النافعة مع النفس التي
بها نجاتها ان يخالف العبد هواها ويحملها على ما يجب ربها فاذا جرى على هواها ولم يصحبها
صحبة صحيحة نافعة لها كان بئس الصاحب لها فتحصل من مجموع ذلك ان الفساد دخل من
اكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى قال الامام رضي الله عنه
وسمعته يقول سمعت النصراباذي يقول سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة
الابد قال الشارح رضي الله عنه وهو امثل ما قاله ابو يزيد فقال رأيت الحق سبحانه في المنام
فقلت يا رب كيف اجدك فقال فارق نفسك وتعالى ومفارقة النفس انما هو الاعراض عن شهواتها
والعمل بمقتضى اوامرها وتكون تصرفات العبد كلها لامر الله خاصة وهذا معنى مفارقة النفس

والخلاص

والخلاص من شرورها وحصول الراحة بالله تعالى وبتقويه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول
سمعت محمد بن الفراء يقول سمعت ابا الحسين الوراق يقول كانت احكامنا في مبادي امرنا في مسجد
ابي عثمان الايثار بما يفتح علينا وان لا نبيت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لانفسنا
بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع في قلوبنا حقر لاحد قمنا بخدمته والاحسان اليه
حتى يزول قال الشارح رضي الله عنه فاما الايثار فهو ان يعطوا ما معهم محتاجا اليه
لمن يرونه مساويا لهم او احوج منهم ويصبروا لفقد الخير واما كونهم لا يبيتون على معلوم
فانهم اذا اخذوا مقدار الحاجة وفضلت فضلة اخرجوها ولا يتركونها الى وقت آخر واما
ما اساءهم فلا يكافونه باساءته ويعتذرون من كونهم احوجوه الى ان يسيء اليهم ولم يبادروا
والحصول بمقصوده قبل النفع منه الاساءة واما اذا وقع في نفوسهم من احد شيء اي ظهر
لهم منه نقص او حصل لهم منه ازدراء واستصغار تواضعوا له وتذللوا حتى يزول ما في
انفسهم منه ويذلوا لهم انفسهم عوضا عما قام بها من ازدرائه واستنقاصه وهذا الاصل
وهو انه جرى بين ابي ذر وبين بلال كلام فقال ابو ذر لبلال يا ابن السوداء فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل الناس بنو ادم وادم من تراب
فوضع ابو ذر خده على الارض واقسم ليضعن بلال رجله على خده مقابلة للشيء بضده ودوا
لنفسه داء بالهاجني لا تعود الى مثله قال الامام رضي الله عنه وقال ابو حفص النفس ظلمة
كلها وسراجها التوفيق من لم يصحبه في سره توفيق من ربه كان ظلمة كله قال الشارح
رضي الله عنه الظلمة ما لا نور معها لانها ضد النور وانما هو نور العلم بالله تعالى وباحكامه ووعده
ووعيده فاذا حصل في القلب هذا النور وعامل به ربه في قلبه وجوارحه كانت معاملته مع
ربه سره ومن لم يصحبه في العلم والعمل والمعاملة بينه وبين ربه توفيق من ربه بقي في ظلمة
جهله وشهواته وحجبه قال الاستاذ الامام ابو القاسم رحمه الله عليه معنى قوله سراجها
سرها يريد سر العبد الذي بينه وبين الله تعالى وهو محل اخلاصه وبه يعرف ان الحوادث
بالله لا بنفسه ولا من نفسه ليكون متبريا من حوله وقوته على استدامة اوقاته ثم بالتوفيق
يعتصم من شرور نفسه فان لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه ولهذا
قال الشيوخ من لم يكن له سر فهو مصر قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي اشار
اليه الامام هو الذي شرحناه به من الكلام وهو ان العبد انما يرى معرفته ربه وتكليفه
ونفسه وكونها متعبدة مطلوبة فاذا عرف ذلك علم ان نفسه بريئة من الاعمال الصالحة الا بعون
ربها وتوفيقه اياها وتسديده فاذا عاملته بالاخلاص فيما بينه وبينها كان ذلك
سرها ومن لم يكن بينه وبين الله تعالى هذا السر في المعاملة بالاخلاص فهو مصر اي محل الاجابة
ومرتكب لما نهاه فان العبد المكلف اما ان يطيع او يعصي قال الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان

علم ان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)